المحاضرة الأولى: علم النفس المعرفي

1.نشأة وتطور علم النفس المعرفي:

يعد علم النفس المعرفي من أهم الميادين المعاصرة، ويهتم بدراسة السلوك الإنساني من جانبه المعرفي العقلي لجعل الفرد أكثر فعالية ونجاح في حياته. وهذا باستغلال عقله وطاقته المعرفية بأفضل طريقة وبأكبر قدر ممكن من المعلومات.

في"الستينات شهد علم النفس المعرفي انطلاقة مهمة، ففي البداية اهتم بدراسة perception الإدراك catégorisation والتصنيف ثم اهتم بدراسة الذكاء واللغة والذاكرة كوسائل لمعالجة المعلومات. وفي السبعينات اهتمت الدراسات بأليات حدوث المعرفة (approche computationnelle) وهي جزء من المعرفة المادية (connaissance physique) الكمياء، بيولوجيا، لهذا تم التركيز في البداية على العقل الحسابي(computationnelle de l'esprit) حيث طور Fodor (1935) نظرية العقل الحسابي(TCE) . في الثمانينات ظهرت مقاربات بديلة كالمقاربة التفاعلية أو التبادلية؛ فمنذ نهاية السبعينات وتحت تاثير فلسفة اللغة ومحاكاة ألة – الإنسان قدم الفيلوسوف الأمريكي Searle سلسلة من البراهين تؤكد أن الألة لا تستطيع أن تفكر لأنها لا تستطيع الوصول إلى بناء المعنى. فاللغة الاصطناعية تختلف تماما عن اللغة الانسانية.

خلال الثمانينات ظهر نموذج متزامن وهو الترابطية... حيث اقترح بعض الباحثين التخلي عن المفهوم الافتراضي للكومبيوتر لصالح المفهوم الافتراضي للخلايا العصبية. وفي التسعينات تاثر علم النفس المعرفي وبقوة بالعلوم العصبية (علم الأعصاب، فيزيولوجيا الدماغ، علم النفس العصبي...) فظهر ما يعرف بعلم النفس العصبي المعرفي الذي سمح باندماج المقاربتين الترابطية والمعرفية. أما في الالفينات (2000) فكان التوجه نحو المقاربات التكاملية، فظهر ما يعرف بـ biopsychosociaux أو transactionnelles حيث أكد أغلب الباحثين أن عملية التفكير عملية معقدة متعددة العوامل.

ففي سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي كانت الموضوعات التي ركز عليها الباحثين هي الإدراك واللغة وحل المشكلات. وفي الثمانينات والتسعينات تم التركيز على دراسة التعلم والذاكرة والوعي. أما اليوم (2000) فالتركيز أكثر على العلاقة بين مختلف هذه الوظائف، بين الوجدان أو الانفعال والمعرفة أو الانتباه والحركة ;المهارات الحركية. كما شهدت هذه الفترة ميلاد موضوعات جديدة بفضل التقارب بين علم النفس المعرفي ومختلف التخصصات في علم النفس مثل علم الإدراك الاجتماعي، وأيضا الاستراتيجات المعرفية لدى المرضى (استراتيجيات المواجهة) وماوراء المعرفة.

واخيرا يمكن القول أن علم النفس المعرفي عرف تطور بفضل العديد من العلوم والمقاربات كالسلوكية والوظيفية وخاصة البنائية من حيث الموضوعات (داخليا) وايضا مذهب النشوؤية أوالتطورية والاعلام الالي والرقمنة وخاصة العلوم العصبية من حيث المنهج (خارجيا)."(Bertrand & Garnier, 2005, p. 47-54)

2.تعريف علم النفس المعرفي:

حاول العديد من العلماء وضع تعريف لعلم النفس المعرفي منهم:

- روبرت سولسو (1991) Solso,R يرى أن موضوع علم النفس المعرفي هو الدراسة العلمية للكيفية التي نكتسب بها معلوماتنا عن العالم والكيفية التي نتمثل بها هذه المعلومات ونحولها إلى علم ومعرفة ولكيفية الاحتفاظ بها واستخدامها وتوظيفها في إثارة انتباهنا وسلوكنا.(عبد الهادي، 2010، 6)

- تعريف نايسر (Neisser, 1967): إذ عرفه بأنه العلم الذي يدرس العمليات التي من خلالها تدخل المعلومات الحسية الى دماغ وكيف يتم تنظيمها وخزنها واستعادتها وتوظيفها في مجالات الحياة اليومية.

- عرفة أندرسون (1995) Anderson: بانه العلم الذي يدرس طبيعة البنية المعرفية للانسان وكيفية تصرفه في مجالات حياته اليومية.

ويعرف أيضا على أنه " فرع من المعرفة يدرس على وجه الخصوص الانظمة المعرفية، والعمليات المعرفية المستخدمة والمنتجة من طرف الإنسان وغيرها للتكيف مع وضعيات بيئته، البدنية، الاجتماعية والتقنية.

علم النفس المعرفي يركز أكثر على النشاط والتنظيم الرمزي للتفكير أكثر من تركيزه على البنية الفيزيولوجية للمخ، إذن فهو يدرس الأنظمة العقلية التي لها علاقة بالمعرفة، هذه الأنظمة التي تكون مصدرا للظواهر والسلوكيات مثل الإدراك والذاكرة، التفكير، المنطق وحتى الأنشطة الحركية (Bertrand & Garnier, 2005, 57)

علم النفس المعرفي إذا؛ يدرس كيف يكتسب المتعلم المعرفة وكيف ينتجها ويستخدمها. فهو يعتبر العقل كنظام لمعالجة المعلومات، يلتقط (الإدراك، الانتباه) ويخزن (الذاكرة، التعلم) وتحقيق أو انجاز العمليات (الانشطة الفكرية) وكيف يحول المعلومة (اللغة). (Bertrand & Garnier, 2005, 60) وتتم عملية التعلم بالاعتماد على عدة عمليات ومهارات منها التصنيف والتحليل والتركيب، والانتباه والتذكر وغيرها. ويعد الإدراك من أهم هذه العمليات، "فالادراك يلعب دور الوسيط في التعلم فهي المنشط أو المحرك ليطور بالتدريج وعيه في التعلم وقدراته في انتاج المعرفة وحل مشكلاته. وبالتالي تساعد الطفل في التعرف على المعارف وكيف يكتسبها ويوظفها في مجالات أخرى (نقل المعرفة). حيث اصبح علماء البيداغوجيا المعرفيون يهتمون بنظريات التعلم ماوراء المعرفية"(تعلم كيف تتعلم (Bertrand & Garnier, 2005, 64) (apprendre à apprendre

3.تعريف العمليات المعرفية:

"يتضمن تعريف العمليات العقلية عددًا كبيرًا من المهام التي يؤديها دماغنا باستمرار. هذه العمليات هي المسؤولة عن التعامل مع جميع المعلومات التي نتلقاها من بيئتنا. حيث أصبحنا ندرك ونعرف بواسطتها، والإدراك هو الذي يسمح لنا بمعرفة العالم."

(Delécraz, 2017)

"وهي الأنماط المختلفة لمعالجة المعلومات بواسطة الأنظمة الطبيعية (الدماغ، الخلايا العصبية، الأفراد) والأنظمة الاصطناعية (الخلايا العصبية الاصطناعية، الأنظمة systèmes)".

(https://www.linternaute.fr/dictionnaire/fr)

وتعرف أيضا بأنها" أي من الوظائف العقلية التي يُفترض أن تشارك في اكتساب وتخزين وتفسير ومعالجة وتحويل واستخدام المعرفة. تشمل هذه العمليات أنشطة مثل الانتباه والإدراك والتعلم وحل المشكلات ويتم فهمها بشكل عام من خلال العديد من النظريات الأساسية، بما في ذلك نهج المعالجة التسلسلية ونهج المعالجة المتوازية والنظرية المركبة التي تفترض أن العمليات المعرفية متسلسلة ومتوازية. حسب متطلبات المهمة. غالبًا ما يستخدم هذا المصطلح بشكل مترادف مع العملية العقلية.mental process "

(https://dictionary.apa.org/cognitive-process)

وجاء في موسوعة علم النفس أن العمليات المعرفية أو العمليات الفكرية تدل على"الوجه الفعال لكل تصرف، إن الخيارات والاستراتيجيات التي تقود التعرف، أو بشكل أعم النشاطات الإدراكية، تحولات الصور العقلية، أو التحولات الدلالية الرمزية، وبالاختصار مجموعة النشاطات المسماة معالجة المعلومات، تعتبر بالتالي كعمليات معرفية كالتصنيف والحكم والتفكير"(موسوعة علم النفس، 767).

4.النظريات المفسرة للعمليات المعرفية:

1.4 نظرية معالجة المعلومات:

تقوم هذه النظرية على مقارنة العمليات الحساسة والمنطقية التي يستخدمها الحاسوب بطريقة تفكير الإنسان لحل مشكلاته. وحسب هذه النظرية يحدث المشكل "عندما يواجه شخص ما بتنوع بدائل الإجابات التي يمكن أن تقدم للمشكلة، وعليه ينصب اهتمام هذه النظرية أساسا على اكتشاف الإجراءات والاستراتيجيات التي يستعملها الأفراد لاختيار من بين هذه البدائل"(عشوي، 2003، 219)

2.4.النظرية الجشطلتية:

إن الجشطلتية من أهم التيارات التي درست الإدراك كعملية معرفية دراسة واسعة، وحسب رواد هذه النظرية فإن اتخاذ القرار الخاطئ الذي يؤدي إلى عدم حل الصراع وزيادة التوتر، مرده في الأصل إلى إدراك خاطئ حصل لدى الفرد في موقف معين أدى به إلى استجابة غير مكيفة للموقف وغير صحيحة.

3.4النظرية الفرضية:

وتعتمد هذه النظرية على أساس أن حل المشكلات يتم بوضع عدة فرضيات، أو تصورات، ومحاولة معرفة مدى ملاءمتها في حل المشكل المطروح، وهذا ما يعني الاعتماد على التجريب وطبعا التجريب لا يمكن تحقيقه في جميع المواقف، وهناك مواقف لا تنتظر حتى التجريب يعني لا وقت لإجراء الاختبار والتأكد، ولهذا اعتبرت هذه النظرية جزء فقط من أجزاء تفسير أنماط العمليات المعرفية، ولا تمثل إلا إحدى طرق حل المشكلات وأسلوب خاص لديه نجده عند المتعلمين أكثر من غيرهم.

4.4 النظرية السلوكية:

سميت هذه النظرية بالنظرية الحركية في تفسريها للعمليات المعرفية، حيث تعتبر أن التفكير الحقيقي تصحبه دائما حركة حقيقية سواء عضلية أو غدية وتستدل بما يسجله الجهاز من نشاط عضلي أو كهربائي عندما يفكر إنسان في مشكل ما.